

شرح أصول الكافي

[282] أضل راحلته ومزاده في ليلة ظلماء فوجدها فافاً أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها) * (1) فانظر أيها اللبيب إلى هذا الحديث الشريف وعلو مضمونه تجده كافياً في الترغيب إلى التوبة والتحريض عليها لو لم يكن غيره ولكن الآيات الكريمة والروايات الشريفة في باب التوبة وبيان فضلها أكثر من أن تحصى وهي من صفات العاقل وأجناده لأن العاقل قصده لقاء الله تعالى دائماً وهمه النزول في ساحة عزه وهو يجوز ذلك في كل آن ويرقبه في كل زمان فأكبر مقاصده وأعظم مطالبه أن يطهر نفسه بالتوبة والندامة على ما يوجب البعد عنه من رجس الآثام قبل انتهاء وقت التكليف بالموت وانقضاء مدة العمل بالفوت بخلاف الجاهل فإن وصفه الإصرار على الذنوب والمعاصي والاقامة على الآثام والمناهي إذ هو لعميان بصيرته وفقدان سريره ونقصان عقيدته محجوب عن درك الآخرة وحالاتها وعن نيل عناية الحق ومقاماتها فيظن أن غاية خلق الإنسان هي وصوله إلى هذه اللذات الحاضرة والمنافع الدائرة فيستمر عليها ويستبشر بها، وهو من الغافلين أو يظن بالآخرة ظناً ضعيفاً يستعد به لقبول ما يتلو عليه الشياطين من تسويق التوبة غداً بعد غد إلى أن يموت وهو من الخاسرين، ثم الإصرار بالذنوب أعم من فعله على الاستمرار وفعله مرة مع عدم عزمه بالتوبة والاستغفار وما روي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله الله عز وجل * (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) * قال " الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الإصرار " (2) يحتمل الأمرين والظاهر منه هو الثاني ومن فسر الإصرار بتكرار ذنب واحد أو بإيجاد حقيقة الذنب في ضمن أنواع مختلفة من الذنوب بحيث يشعر بقلة المبالاة فقد غفل عن تحقق معنى الإصرار في ذنب واحد مع عدم التوبة. (والاستغفار وضده الاغترار) الاستغفار من الغفر وهو الستر، والاغترار من الغرة بالكسر وهي الغفلة والجرأة، واعلم أن والي البدن كثيراً ما يطغى في الإمارة ويخون في الولاية ويعصي السلطان الأعظم في إرادته فيستعمل الجوارح الظاهرة والباطنة كلها أو بعضها في غير طاعته ثم إنه قد يستشعر بتقصيره وعصيانته وخيانتته وطغيانه فيخاف أن يعاقب في الدنيا والدين وينكشف مساويه عند المقربين فيقبل بالطوع والاختيار ويتمسك بذيل الاقالة والاستغفار طالباً لغفران الذنوب وسترها على الكرام لئلا يفتضح بها عندهم يوم القيامة، ولمحوها باللفظ العظيم والكرم العميم لئلا يعذب بسلاسل وأغلال في الجحيم، ويمحوها من لوح نفسه وصفحة الجنان لئلا يخل بتذكرها بعد دخول الجنة وروضة الجنان ومستكملاً لاستعداد الفوز بالرحمة في الدنيا بإنزال

1 - الكافي كتاب الايمان والكفر باب التوبة

تحت رقم 8. 2 - الكافي كتاب الايمان والكفر باب الاصرار على الذنب تحت رقم 2. (*)
